الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الهندسة المعمارية

مشروع تخرج

دورة تموز 2000

عمارة معاصرة ضمن نسيج دمشق القديمة

تقديم الطالبتين

أسيل سمير الهاشمي

سوسن سمير نحاس

لمحة تاريخية :

بعيداً عن الكلمة وحدها، يطأ الوجود البشري مساحة التغيير بأشكال مختلفة...

كان هاجس الإنسان منذ الأزل أن يطرح وجوده بأكثر من وجه وأكثر من طريقة..

وكان رديفاً لنزعة الإنسان للاستقرار، نزعه كانت منعطفاً في تاريخ البشر، أن يدع وراءه – كلما انتهت حقبة ما – شكلاً معيناً لهذا الاستقرار، يخفي وراءه صرخة تأكيد وصرخة حماية ووجود ..

لم تكن اللغة لغته الوحيدة..

لأنه المسكون بهاجس الانتماء إلى شيء ما، بنى له بيتاً ولم يكتف بأغصان الشجر أو الكهوف أو حتى الخيام..

ومنذ العهد النيوليتي الحديث، خلفت ثورة الإنسان بعدين مهمين شكلاً ملامح العصور القادمة...

وتصبح التجمعاتْ البشرية الصغيرة والغير واضحة الملامح أثراً لمرحلة فائته تذكرنا بها رسوم قليلة، أو قطع معدنية نادرة.

إن تأسيس الإمبراطورية البشرية بدأ من الفخار والحجر... في البيت الذي لا يكسره الترحال والتنقل..

في مكان ما على هذه الأرض، خرجت مدينة دمشق من قلب الكهوف القديمة والبيوت المؤقتة لتكون الدليل الأكثر قدماً على بدء التجمعات المدينية.

خرجت، لتدعم صرخة الوجود البشري وتزيد من أثره عمقاً وخلوداً...

تصبح لغة الحجر رديفاً للكلمة وربما في لحظة ما تصبح الكلمة نفسها، تحمل قصصها معها عبر الحقب والأزمان...

هكذا بدأت مدينة دمشق تتحدث...

وعلينا هنا أن نقول، أن التأسيس الحجري للاستقرار الإنساني كان في أغلب الأحيان متناسباً مع طبيعة المكان ومناخه، مع طبوغرافيا الأرض وتفاصيلها البدائية..

إن تفرد الأرض، في الجغرافيا والموقع، منح مدينة دمشق ملامح خاصة لتصبح بخروجها الصارخ من التراب تأكيداً على ذلك الهارموني النادر بين الموقع من جهة والجدران والأعمدة التي شيدت عليها من جهة أخرى..

يبدأ الوجود الإنساني على الأرض الدمشقية بحذر المولود البكر ووحشيته؛ تخرج منها حارات تضيق فيها الإتجاهات دون أن تفقد بعدها الرحب باتصالها الحميم مع بعضها، وكأنها تدع المسافة تولد من نفسها لتصبح على ضيقها رحبة وحارة، تلمس دفئها الخاص كلما مررت بالقرب من خان أسعد باشا أو قصر العظم أوحتى سوق الحميدية في أشد لحظات اكتظاظه بالبشر..

اتجاهات رحبة ضيقة معاً، تفضي إلى نفسها وإلى الحذر الجميل الذي تختصره الواجهات المرتبكة وربما المحايدة لمنازل تكاد تتكئ على بعضها دون أن تتجاوز حدود الإستقلالية والتفرد، واجهات على بساطتها تخفي وراءها غنى إنسانياً كبيراً سواءً كان هذا من خلال الأشجار الصغيرة المختفية خلف الجدران الخائفة أو من خلال الزخرف والأرابيسك والأواوين والأقواس، التي تترك انطباعاً غامضاً وغريباً ومربكاً.

يبدد الحضور البشري على واجهة البيت وجدرانه الخارجية متواضعاً، إلا من خلال تعامله مع الفراغ المحيط بالحميمية التي ذكرناها، إلا أنه من الداخل يدعك متردداً دائماً في الردهة الضيقة التي تفصلك عن أرض الدار والإيوان بجمالها المدهش وتفاصيلهما الزخرفية والمعمارية الغير متوقعة.

وبعيداً عن الأسباب التي دفعت الإنسان إلى تأسيس الشكل المعماري الأقدم له بهذا الشكل وسواءً كانت مناخية أم بيئية اقتصادية أو دينية، فإن علاقة الحجر بالأرض لم تتغير أبداً إلا من خلال التفاصيل. .

لقد ظلت لغة البيوت الدمشقية عبر الأحقاب المختلفة واحدة، وإذا اعتبرنا أن اللغة المعمارية تقوم في جوهرها على الكتلة بعمومها وليس على التفاصيل....

فإننا نستطيع القول أن الشكل المعماري الدمشقي لم يتغير إلا في الجزئي المختبىء خلف الجدران والواجهات التي ظلت محايدة، والبيوت التي استمرت في لجوئها إلى بعضها...

والحارات التي ظلت دائماً ممرات ضيقة تفاجئك بحميميتها ورحابتها على ضيقها هذا...

واقتصرت مساحة الإبداع والتي كانت رغم ما أوردناه كبيرة على التفاصيل والزخرف الذي كان في كل حقبة عنواناً متفرداً ومتميزاً عن الحقبة التي تلتها، بدءاً من العصر الأموي مروراً بالعباسي والفاطمي والسلجوقي والأيوبي والمملوكي انتهاءً بالعثماني....

لم يكن اختلاف هذه التفاصيل عن بعضها بسيطاً، ونكاد نستطيع القول أن لغة الزخرف وشكل الأقواس والبوابات الضيقة غيرت وجه المدينة، لكنه تغيير يحتاج إلى تمعن، لأنه لا يطأ الجوهر العام والخطوط العريضة الأكثر أهمية للشكل المعماري من حيث كونه علاقة للكتلة بالفراغ المحيط ....

الجوهر العام بقي ثابتاً...

والخطوط العريضة ظلت وجهاً لكتلة محايدة في تعاملها مع الفراغ من حيث احتوائها دون تخللها له ...

فكرة المشروع :

ما الهدف إذاً من المشروع الذي نعمل به ؟

إن الفكرة الأساسية التي نود طرحها في مشروعنا المتواضع هذا هي التاليـــة: إذا كانت دمشق القديمة قد استطاعت عبر الحقب المتعاقبة ان تختصر اتجاهات البنـــاء جميعاً دون أن تفقد هويتها الأساسية، وإذا كانت الفترة الممتدة من العهد العثمـــاني حتى يومنا هذا هي فترة انقطاع معماري فرضته سياسة استعمارية معينة...

ألا تستطيع دمشق القديمة أن تحتضن التوجهات المعمارية المعاصرة، مرة أخرى، دون أن تفقد هويتها أيضاً...

بطريقة أخرى، نحن نعتقد أن دمشق بوضعها الراهن لا تعد و كونها متحفاً أثريـــاً مكتظاً بالبشر، وإذا كان التطور سمة وقدراً إنسانياً، لم لا تتماشى دمشق مع اللغـــة المعاصرة في فن البناء إن كنا قادرين على حماية هويتها العرقية مـــن الإنمحـــاء خلف الحضور الهندسي المعماري المعاصر؟

قبل كل ذلك نجد أنفسنا أمام سؤالين بالغي الأهمية :

هل تعتبر دمشق القديمة مدينة سكنية؟ وإن كانت كذلـــك فـــهل شـــروط الســـكن المعاصر تتوافر فيها؟

أم أنها مجرد أثر عريق لابد لنا من الحفاظ عليه لأغراض قد تقتصر على كونـــها سياحية؟

إن جولاتنا المتكررة في الجارات الدمشقية لم تتركنا بدون إجابة: دمشـــق مدينـــة أثرية مدهشة، وقابلة للسكن معاً إنما بشروط معينة يفرضها معيار التطور وأســـس السكن الحديث...

نتعامل مع الهوية الدمشقية كمقدس لايجوز تجاوزه، ونحاول أن نســـتغل الفســـحة الضيقة للتحرك باتجاه المعاصر من حيث التوظيف وعلاقة الكتلة بالفراغ ومـــواد البناء....

لوهلة قد يبدو ذلك غاية في الصعوبة، وربما مستحيلاً لذا كانت خطوتنا الأولى احترام دمشق القديمة من حيث الموديول والإرتفاعات ونسبة الكتلة / فراغ بالتماشي والتوازي مع فكرة التحديث الأكثر خطورة وتعقيداً وهي علاقة الكتلة المعاصرة بالفراغ....

نورد ذلك بشيء من التفصيل فيما يلي :

إن البناء الدمشقي القديم يحترم العين المجردة ومساحة البصر إلى أبعد الحدود، تغيب عن دمشق القديمة الارتفاعات الشاهقة، والكتل الحجرية المبالغ بها فتبدو وكأنها مصممة لاحتواء الوجود الإنساني بمفهوم الحجر والكتلة تماماً، لا تعدو البيوت كونها مؤلفة من طابقين مؤكدة على الإحساس الإنساني البسيط والحاجة الفطرية الغير معقدة للمكان بوصفه ملجأً قبل كل شيء...

إن هذا الإحساس والموديول الإنساني يشكل برأينا خطاً أحمر لا يجوز تجاوزه في التعامل مع خريطة الكتلة الدمشقية القديمة....

من جهة أخرى لابد لنا أن نعترف إن العلاقة البدائية للكتلة مع الفراغ، هذا الحياد الذي تحتوي فيه الكتلة الفراغ بشكل قد يفوق البساطة أحياناً، يبدو منافياً لأي شكل من أشكال الحداثة والمعاصرة...

تصبح المسألة بالشكل التالي :

موديول إنساني متزامن مع معادلة الحداثة في علاقة الكتلة بالفراغ ، كتلة تتخلل الفراغ وبالعكس لتصبح اللغة البصرية متطورة بالشكل الكافي دون ان تمس الجوهر الدمشقي القديم الذي هو تراث مقدس...

لنكن الآن أكثر خصوصية في التحدث عن تفاصيل المشروع ..

يكتسب موقع مشروعنا – والذي هو منزل عبد الله باشا الواقع في حارة بين البحرتين وبجواره المدرسة- أهميته من المحاور المحيطة به (سوق مدحت باشا- البزورية – الحريقة) إضافة إلى معالم لا تقل في أهميتها عن تلك المحاور (الجامع الأموي – خان أسعد باشا – قصر العظم – خان الحرير والقبة النورية) .

استطلاع الموقع والتحليل المعماري :

يبدو المنزل للوهلة الأولى محيراً، فعلى الرغم من أننا استطعنا المحافظة على قوس الإيوان والأعمدة والكتبيات التي ساعدت حالتها الجيدة وأهميتها الأثرية على اتخاذ قرار المحافظة عليها، بدا السلملك مهدماً والحرملك وإن كان موجوداً فهو بوضع فيزيائي سيء لذا كانت خطة العمل النهائية هي :

إبراز جمالية الإيوان والأعمدة والكتبيات من خلال البللور والإضاءة وإعادة بناء الجزء المهدم وتغيير بعض الفتحات وتقويم الجدران دون المساس بالهوية العامة والأصالة الدمشقية وإنما بما يخدم إبراز الموديول وإحتواء المعاصرة وليس الذوبان فيها....

اختصار السماكة الحجرية في الجزء المحدث، تلك السماكة التي وعلى الرغم من إيجابيتها في العزل وتوفير الدفء فإنها تحتل مساحة كبيرة لا تتوافق مع التطور والمعاصرة الذي يستطيع أن يستعيض عنها بسماكة معدنية لا تتجاوز ١٠ سم وتؤدي نفس الغرض ...

ويبرز الجانب الخدماتي كحلقة وصل مفقودة بين ما هو راهن و ما هو ضروري جداً لتخديم السواح والسكان على حد سواء..

لقد تم إدخال التعديلات الخدمية اللازمة لكافة المجالات والتي وإن بدت جذرية فإنها لم تخرج عن نطاق الضروري فيما يختص بتوفير الراحة للسكان ومستلزمات الترفيه والتسليه للسواح...

إن التعامل مع الأرث يطرح إشكالية مهمة لا تقتصر فقط على الجانب التوثيقي للذاكرة، وإنما يتناول أيضاً قضية المسافة الحرجة بين ما هو امتداد وما هو انقطاع..

نرى المعاصرة في دمشق القديمة امتداداً وحالة احتواء غرضها، ضم حقبة جديدة إلى الجدران الدمشقية التي نعتقد أنها تمتلك من الأصالة ما يكفي ليظل طابعها الكلاسيكي غالباً على تعقيدات الفراغ الكتلي المعاصر....

البرنامج الوظيفي والمساحات :

١- بهو الدخول الرئيسي ويضم : $170\ m^2$

- كونتوار الاستعلامات
- عدة أركان للمنشورات والصحف والمجلات
- وعدة أركان استراحة

٢- لقسم الحرفي عبارة عن بازار حرفي يتم فيه صناعة الحرف أمام الـــزوار كما يستطيع الزوار أنفسهم صناعتها ويضم القاعات التالية :

- قاعة لآلات الموسيقى $60\ m^2$
- قاعة لحرفة الفخار والخزف بمساحة $52\ m^2$
- قاعة للموزاييك والصدف بمساحة $52\ m^2$
- قاعة للنقش على النحاس بمساحة $60m^2$
- قاعة لصناعة الزجاج والرسم على الزجاج بمساحة $100\ m^2$
- قاعة للزخرفة على الخشب بمساحة $60\ m^2$
- قاعة للمنسوجات الشرقية بمساحة $100m^2$
- قاعة للنحاسيات والفضيات اليدوية بمساحة $52m^2$
- قاعة للصناعات الجلدية بمساحة $52\ m^2$

ويضم أيضا :

- صالة عرض وبيع للمنتوجات الحرفية $100\ m^2$
- محترفات فنانين $52 \times 2\ m^2$

٣- القسم الثقافي ويضم :

- غرف باحثين $20\ m^2 \times 4$ يتم وضعها آخر الجدول
- بهو دخول $45\ m^2$
- قاعة محاضرات تتسع لـــ 75 شخص بمساحة $100\ m^2$
- قاعة للفهارس بمساحة $50\ m^2$
- قاعة للكتب بمساحة $60\ m^2$
- قاعة للمطالعة تتسع لـــ 75 شخص بمساحة $100\ m^2$

- مكتبة ديسكات بمساحة $10\ m^2$

- قاعة لعرض الأفلام الثقافية والوثائقية بمساحة $20\ m^2$

- café انترنت تتسع لـ 15 شخص بمساحة $35\ m^2$

٤- القسم الترفيهي ويضم :

- قهوة شعبية تتسع لـ 50 شخص بمساحة $40\ m^2$ ويلحق بها تراس

-سناك لتقديم المأكولات الخفيفة يتسع لـ100 شخص بمساحة$100\ m^2$ويلحق به تراس

- قاعة للاستماع الموسيقي مساحة $35\ m^2$

- قاعة استراحة ومناقشة بمساحة $40\ m^2$

٥-معرض للفنون التطبيقية يقوم بعرض وبيع أحدث الصناعات الحرفية بمساحة $115\ m^2$

٦-قاعة للاستعلامات السياحية وتضم :

- كونتوار

- ركن خاص بالبروشورات والمنشورات ومجموعة من أجهزة الكومبيوتر Info Box القاعة بمساحة $50\ m^2$

٧- قاعة عرض ليزرية مجهزة بشاشات عرض ليزرية تعمل على عرض صور ولقطات من دمشق القديمة توضح كل ما في هذه المدينة من حارات وأزقة وعناصر معمارية جميلة وخلابة داخل البيوت وخارجها بمساحة $130\ m^2$